القاعدة وإما من القاعدة إلى الشاهد، وفى ذلك يقول ابن خلدون: «وأهل صناعة العربية بالأندلس ومعلموها أقرب إلى تحصيل هذه الملكة وتعليمها من سواهم لقيامهم فيها على شواهد العرب وأمثالهم والتفقه فى الكثير من التراكيب فى مجالس تعليمهم»[1]. وقد امتدح ابن خلدون هذا الأسلوب، وفضّله على الأسلوب المشرقى.

والأندلسيون باتباعهم هذا الأسلوب إنما تأثروا بمنهج سيبويه فى كتابه، فسيبويه «لم يقتصر على قوانين الإعراب فقط بل ملأ كتابه من أمثال العرب وشواهد أشعارهم وعباراتهم فكان فيه جزء صالح من تعليم هذه الملكة»[2].

ولما كان هذا الأسلوب يمتاز بالصعوبة ابتعد المشارقة عن اتباع ذلك المنهج الذى سار عليه سيبويه فى كتابه فيما بعد[3] إذ إنهم رأوا أن الشواهد التى كان يأتى بها سيبويه تحتاج إلى شرح وتفصيل من ناحية معانى ألفاظها وعباراتها، وهم يريدون أن يقدموا النحو بطريقة تعليمية يسهل على الطالب أن يحصّلها دون تعقيد، يدلنا على ذلك تلك العبارات الافتراضية التى كانوا يكونونها واضعين خلالها عبارات أو جملاً سهلة فى معانها وألفاظها يريدون توصيلها إلى الطالب، وفى هذا يقول ابن خلدون: «وأما من سواهم – أى سوى أهل الأندلس – من أهل المغرب وأفريقية وغيرهم فأجروا صناعة العربية مجرى العلوم بحثاً، وقطعوا النظر عن التفقه.

وكان ابن مالك ملّماً باللغة خبيراً باللهجات العربية لم يلزم نفسه مذهب البصريين، أو يجعلها تدور على نسق الكوفيين فهو رجل بحاثة ماصلح دليله أخذه، ومالم يصح رفضه.

وكان ابن مالك يراعى السهولة فى أقيسته، لم يتشدد كما تشدد البصريون كان يحترم كل مسموع، ويقيس عليه لأنه كان يرى أن اللغة متطورة وأنها ظاهرة اجتماعية يجرى عليها مايجرى على هذه الظواهر من

---

(١) ابن خلدون – مقدمة ابن خلدون – ص ٥٦١.

(٢) المصدر السابق – ص ٥٦٠ – ٥٦١.

(٣) المصدر السابق – ص ٥٦١.